* الدكتور سليمان الطماوى
* الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله
يجيبان على سؤال الطليعة

«لا ثورة اجتماعية بدون نظرية للعمل الثورى»

ان ثورة ٢٣ يوليو هى ثورة شاملة لانها ـ كما يقول الميثاق ـ «حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليقوم باحكام عنيد لكل العوائق والموانع التى تعترض طريق حياته كما يتصورها ، وكما يريها كما انها قفزة عبر مسافة التخلف الاقتصادى والاجتماعى تعويضا لما فات ، ووصولا الى آماله الكبرى التى تبدو خلال المثل الاعلى لما يريده للاجيال القادمة»

والثورات الشاملة ، بالمعنى السابق ، هى ثورات اجتماعية تتصدى لتغيير المجتمع جذريا ، من الحالة التى كان عليها قبل الثورة ، الى الحالة التى تطابق المثل الاعلى للثوار وهى فى تصديها لتغيير المجتمع تقوم بعملين :

● احدهما طابعه **سلبى** ، وهو **الهدم** ، اذ يتعين عليها ان تدك أنقاض المجتمع الفاسد ، لتقيم عليه البناء الجديد . وهذه المهمة يسيرة ، وكثيرا ما تتحقق بمجرد نجاح الثورة .

● والعمل الثانى ، وطابعه **ايجابى** ، وهو **البناء** : اذ يتعين على الثورة أن تنجح فى تحقيق الاهداف التى قامت من أجلها ، عن طريق اعادة **صياغة العلاقات الاجتماعية** بما **يحقق الرفاهية والعدالة الاجتماعية للمجتمع الجديد** .وبهذا المعنى يقول **الميثاق** «ان الثورة ليست عملية هدم أنقاض الماضى ، ولكن الثورة هى عملية بناء المستقبل .. أن التطلع الثورى بكل آماله ومثله العليا يهتم بالبناء الجديد أكثر من اهتمامه بالانقاض التى تداعت .. لقد كانت هناك انقاض النظام القديم وحطامه تسد الطريق ، كما كانت هناك رواسب متعفنة من مطامعه البالية المهزومة .. لكن الشعب المعلم ، صانع الحضارة .. راح يشرف بوعى وجدارة على التحول الرائد الخلاق نحو الاشتراكية الديمقراطية التعاونية» ..

ولنجاح الثورة الاجتماعية الشاملة ، يجب أن تسلح نفسها بدعامتين :

● **نظرية للعمل الثورى** : فالمسلم به أنه **لاثورة اجتماعية بدون نظرية للعمل الثورى** . وبدون هذه النظرية الثورية التى تبين أهداف الثورة على وجه التحديد ، وترسم الوسائل الكبرى التى يتعين اتباعها لخلق المجتمع الجديد ، تصبح الثورة مجرد عمل من أعمال العنف الخطر ، و... رغبة فى التغيير خروجا من الملل . وخطورة هذه الحالة على الثورة لانزاع فيها . فعملية الهدم اذا كانت ملازمة لمعنى الثورة الاجتماعية ، فانها ليست هدفا مقصودا لذاته . واذا وقفت الثورة عند هدم القديم دون أن تقدم للمواطنين بناء جديدا ، يكون أرسخ وأمتن من البناء القديم ، فان ذلك يكون **سببا مباشرا لانتكاسها** ، وانفضاض أنصارها من حولها بل وتحولهم الى اتجاهات مضادة مما يطلق عليه اصطلاحا **الثورة المضادة** وهو المعنى الذى اشار اليه **الميثاق** حيث يقول : « ان التطلع

الثورى بكل آماله ومثله العليا يهتم بالبناء الجديد أكثر من اهتمامه بالانقاض التى تداعت . أن الشعوب لاتستخلص ارادتها من قضية الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ وانما تستخلص الشعوب أرادتها ، وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها . أن هذه المرحلة من النضال هى أخطر المراحل فى تجارب الامم أنها النقطة التى أنتكست بعدها حركات شعبية كانت تبشر بالامل فى نتائج باهرة ، ولكنها نسيت نفسها بعد أول انتصار لها ضد الضغط الخارجى وتوهمت خطأ أن أهدافها الثورية تحققت ، ومن ثم تركت الواقع كما هو دون تغيير .

تنظيم ثورى

● **قيام تنظيم ثورى** يكون الحارس على النظرية ، والامين على أن تصل الثورة الى أهدافها المقررة . وينحصر عمل التنظيمات الثورية فى مهام أربع يمكن اجمالها فيما يلى :

أ ــ العمل على نقل المفاهيم الثورية الى الجماهير الشعبية وتعميق معانيها فى أذهانهم .

ب ــ السهر على منع الانحرافات ، وتقويمها باستمرار نظرا لتعرض جميع الثورات لهذا المرض .

جـ ــ تطوير المفاهيم الثورية لتواجه احتياجات الواقع المتغيرة . فنظرية العمل الثورى توضع عادة فى ظروف معينة ويقصد بها تسهيل الدفع الثورى لكى يصل الى غاياته المرسومة ، لاأن يكون قيدا عليه . **فاذا تبين عدم مطابقة النظرية لواقع الحياة فيجب على الاجهزة الثورية أن تعيد النظر فى نظرية العمل الثورى ونضجها ، ثم تنقل مفاهيمها الجديدة الى جماهير الشعب .**

د ــ حث الجماهير على متابعة الشوط الى نهايته ، وذلك أن تحقيق الثورة الاجتماعية يتطلب عملا متواصلا ، يستغرق سنوات عديدة ، وقد تمل الجماهير ، بسبب او لاخر وتقصر عن متابعة الشوط الى نهايته ، نظرا لما تلقيه الثورة على عاتق الشعوب من اعباء وتضحيات ، لاسيما فى المراحل الاولى من عمرها . وهنا تظهر فائدة التنظيمات الثورية ، التى تتكفل ببث الحماس فى نفوس الجماهير ، وتعبئة قواها، ووضع أنظارها باستمرار على أهدافها الكبرى .

ومن الحقائق العلمية التى سلم بها الميثاق ،أن **ثورة ٢٣ يوليو قامت ، ونجحت دون أن يتكامل لها الركنان المشار اليهما** وبهذا المعنى يقول **الميثاق** : «أن قوة الارادة الثورية لدى الشعب المصرى تظهر فى أبعادها الحقيقية الهائلة اذا ماذكرنا أن هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة ، كذلك فان هذا الزحف الثورى بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى .» ولقد سبق الرئيس جمال عبد الناصر أن عبر عن ذات المعنى فى **فلسفة الثورة حيث يقول : «ما الذى نريد أن نصنعه ؟ وما هو الطريق اليه؟! الحق أنى فى معظم الاحيان كنت أعرف الاجابة عن السؤال الاول . وأخال أنى لم أكن وحدى المنفرد بهذه المعرفة . وانما كانت تلك المعرفة املا انعقد عليه اجماع جيلنا كله . أما الاجابة على السؤال الثانى ــ طريقنا الى هذا الذى نريد ــ فانا أعترف انها تفيرت فى خيالى كما لم يتغير شىء آخر . واكاد أعتقد ايضا انها موضوع الخلاف الاكبر فى هذا الجيل . وما من شك فى اننا جميعا نحلم بمصر المتحررة القوية . وذلك أمر ليس فيه خلاف بين مصرى ومصر . أما الطريق الى التحرر والقوة .. فتلك عقدة العقد فى حياتنا »**

واذا كانت الثورة قد أتخذت من المبادىء الستة المشهورة دليلا للعمل فى أول حياتها ، واذا كانت تلك المبادىء قد أدت دورها ، فلان جهد الثورة كان موجها فى أول الامر الى الجزء الاول من عملها ، ونعنى به الهدم : هدم الاستعمار ، والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

أما بعد أن انتقلت الثورة الى الجانب الايجابى من عملها ونعنى به اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية على أسس جديدة ، فقد برزت أهمية الدعامتين ،اللتين أشرنا اليهما ، وهما نظرية متكاملة للعمل الثورى ، ثم جهاز حارس على النظرية يؤدى الاغراض التى أشرنا اليها فيما قبل .

وبعد عشر سنوات من التجربة والخطأ ، والعمل الثورى المستمر ، وضعت النظرية ، وقام التنظيم الثورى .

وضع ميثاق العمل الوطنى . ليكون دليل العمل الثورى، وكما يقول **تقرير الميثاق** : «لقد تبلورت حصيلة العمل الثورى فى عشر سنوات . وأصبح من الضرورى أن يعيد الشعب تأكيد مكاسبه الثورية ، وتأكيد واجباته ومسئولياته فى الحفاظ على العمل الثورى ، واستمرار قوته الواقعة . لقد أصبح من الضرورى أن يرسم الشعب أطار حياته ، وأن يحدد معالم المجتمع الجديد الذى يريده لنفسه ، وأن يوضح المبادىء والقيم التى تقوم عليها حياة هذا المجتمع وأن يصوغ ذلك كله فى ميثاق يصدره بارادته ، ويلتزم به ويعمل بمقتضاه .. أن بلورة فلسفة ثورتنا فى الميثاق تعتبر ضرورة لتكوين العقلية القادرة على متابعة العمل الثورى فى آفاقه الممتدة ،ولتوضيح أساليب العمل أمام الشعب فى نطاق المسئوليات الجديدة . لقد أكدت التجارب أن شعبنا اذا ما تحددت أهدافه فى وضوح ووجد قيادته المؤمنة الواعية اهتدى الى طريقه ، واستطاع أن يتحرك نحو أهدافه بكل ما فيه من أمل دافع ، وبكل ما فيه من طاقة خلاقة . أن وضوح أبعاد العمل الثورى ضرورة لنجاح العمل ، لانه وحده الذى يضمن لكل فرد أن يتعرف طبيعة النظام الذى يعمل فى ظله وما يتيحه له من حقوق وما يفرضه عليه من واجبات تحدد مكانه ودوره فى زحف الجماعة المقدس . ومثل هذا التعرف يجب أن يكون سهلا واضحا ليؤكد الثقة ويبعث الاستقرار ويرسى صلات الفرد والجماعة على أساس مكين . أن الميثاق يضمن لنا ذلك كله .. »

ثم قام **الاتحاد الاشتراكى العربى** ومن خلال منظماته كما تقول مقدمة قانونه ــ «**يجد الميثاق ، وهو بالنسبة لثورتنا نظريتها السياسية ، وبالنسبة لاشتراكيتنا فكرها الثورى ، طريقه الى التطبيق العملى** »

وفاعلية نظرية العمل الثورى تتوقف أولا وقبل كل شىء ، على **وحدة مفهومها بين القيادة والقاعدة** ،ووضوح هذا المفهوم فلا يكفى أن توجد النظرية متكاملة فى أذهان القادة دون القاعدة . وهذا الوضوح الفكرى اذا كان قد تحقق الان على مستوى القيادة ، فانه لم يتحقق بعد على كافة المستويات ويرجع ذلك الى اعتبارات عديدة من اهمها :

نظرية العمل الثورى فى مجتمعنا

● **ظهور النظرية بعد نجاح الثورة** : فالقاعدة الغالبة فى معظم الثورات الاجتماعية التى عرفها العالم قديما وحديثا ، أن النظرية الثورية تولد أولا ، وتكتسب أنصارا يؤمنون بها الى حد التعصب ، ثم **تقوم الجماهير الشعبية بالثورة** ، وهى تعرف طريقها ، وهدفها ، ووسائل تحقيق الهدف ، فتكون وحدة الفكر ووضوحه ملازمة للعمل الثورى منذ قيام الثورة ، وينعكس ذلك على كافة مجالات العمل الثورى اذ يكون من السهل أختيار القيادات ، وتوجيه الجماعات ، وحشد القوى .. الخ أما فى حالتنا فان اسباب الثورة كانت عميقة بين الجموع الشعبية ، ولكن **نظرية العمل الثورى** قد ولدت بعد نجاح الثورة بسنين . حقيقة أن الميثاق قد صور نتيجة مناقشات وفى مؤتمر تم انتخابه على كافة المستويات فى أوسع نطاق ، ولكن ذلك كله لا يكفل وحدة الفكر المطلوبة ووضوحها .

● **قيام نظرية العمل الثورى العربية على أساس من الذاتية العربية** : فنظرية العمل الثورى العربية لم تنقل نظريات جرت صياغتها فى الخارج ، بل جعلت الواقع المصرى والعربى نقطة البدء . ولكنها من ناحية اخرى لم تحبس نفسها فى حدود فكرية معينة ، بل أمنت بأن أول مقومات العمل الثورى الناجح توافر «فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية ، يأخذ منها ويعطيها ولايصدها عنه بالتعصب ، ولايصد نفسه عنها بالعقد » وأن الفكر الثورى العربى يجب «الا ينعزل عن التجارب الغنية التى حصلت عليها الشعوب المناضلة بكفاحها وأن التجارب الاجتماعية لا تعيش فى عزلة عن بعضها» .. و «ان التجارب الاجتماعية ــ كجزء من الحضارة الانسانية تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق » .

ومعلوم من ناحية أخرى أن هذا الشعب أقدم شعوب العالم المعروفة ، وكان **رائدا للفكر البشرى** فى كثير من عصور التاريخ ، وعرف كثيرا من نظريات العمل الثورى المشهورة وقد تفاعلت كل هذه النظريات وكونت شخصية هذا الشعب التى استمرت عبر القرون والحقب ، والتى كفلت له انيهضم الشعوب الغازية على تعددها ، وأن يفنيها فى ذاتيته .

وواضح أن الشعوب لاتبدأ تقدمها من فراغ والا ذهبت الى الفراغ كما يقول الميثاق ، وهذا كله جعل نظرية العمل الثورى العربية صورة من طبيعة هذا الشعب : فيها القديم وفيها الحديث جنبا الى جنب ، فيها الايمان الذى لا يتزعزع بالله وبكتبه وبرسله وباليوم الاخر ، وفيها الايمان الذى لا يتزعزع بالعلم وبالاسلوب العلمى ، وبأن مشاكلنا ومشاريعنا لايمكن مواجهتها الا على أساس علمى . فيها الايمان بظاهرة الصراع الطبقى ، وفيها الايمان أيضا بأن نبل الغاية لايغنى عن نبل الوسيلة . وأن وسائل العمل الثورى يجب أن تتكافأ شرفا مع غاياته . فيها الاحساس بوطأة الظلم ، وبشاعة الاستغلال ، وفيها أيضا النظرة الانسانية التى لازمت هذا الشعب منذ فجر التاريخ حتى الان .. **لهذا كله نلتقى نظرية العمل الثورى العربية مع كثير من النظريات المعروفة ، ونختلف عنها** . وقد يثير هذا اللقاء وهذا الاختلاف لبسا فى بعض الاذهان التى تنظر الى الامور نظرة سطحية ، أو التى تبدأ من فكر معين .. أن التشابه أو الخلاف بين نظريتنا الثورية وبين غيرها من نظريات العمل الثورى المعاصرة ليس مقصودا لذاته ، وانما جاء لمناسبته أو لعدم ملاءمته لظروفنا المحلية .

ومن ثم فانه من الخطأ الجسيم ــ وهو ما نوه به الميثاق وقرره فى أكثر من موضع ــ ان تتخذ مواضع الشبه أو الخلاف بين نظريتنا الثورية وبين النظريات الثورية الاخرى كدليل للادعاء بأن نظريتنا تؤيد أو تعارض تلك النظريات .

واذا كانت نظرية العمل الثورى العربية قد التقت مع بعض النظريات المعاصرة فى بعض الاحكام والمبادىء ، فيجب الا تنتقد بسبب ذلك بعدم الاصالة . فالاصالة فى نطاق العمل الثورى لاتعنى مجرد التميز عن النظريات الثورية الاخرى ، ولكن اصالة نظرية ثورية معينة . انما تعنى عدم تقيدها بافكار معدة سلفا ، وجرت صياغتها فى ظروف مغايرة ، وأنها قد صيغت أساسا لمواجهة الظروف المحلية . وبهذا المعنى يقول **الميثاق** : «وليس معنى ذلك ان النضال الوطنى للشعوب وللامم مطالب اليوم بان يخترع مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ولكن معناه أنه مطالب اليوم بأن يجد الاساليب المسايرة لاتجاه التطور العام والمتفقة مع طبيعة العالم المتغيرة »

أما الاصالة بمعنى التجديد الكامل ، فلم تتحقق حتى بالنسبة لاكثر النظريات الثورية أصالة فى العالم ، لان الحقيقة التى لا يمكن انكارها ان الفكر البشرى يكمل بعضه بعضا ، وان كل مفكر ــ مهما كانت مساهمته فى التجديد ــ انما يتأثر بما سبقه من أفكار .

الفكر الموحد والمصالح المتعددة

● ومن أسباب صعوبة أيجاد الفكر الموحد لدينا أيضا أننا **نبدأ محاولة جديدة** ، متمثلة فى محاولة أقامة تحالف بين قوى الشعب العاملة ، بأن نجمع فى نظام واحد بين مصالح كل فئة أن تفسر نظرية العمل الثورى بما يتفق مع مصالحها وبما يخرج بها عن وحدتها اللازمة لنجاحها .

لكل هذا ولغيره ، فان مهمة خلق الفكر الموحد بين قوى الشعب العاملة هو أمر عسير وبالرغم من ذلك فانه أمر حيوى لنجاح العمل الثورى فى مرحلة التحول الاشتراكى التى تجتازها البلاد .

ونقطة البداية فى عملية توحيد الفكر بين قوى الشعب العاملة **هى الالتزام بالميثاق** . أن الميثاق هو نظرية العمل الثورى العربية . وهو ليس مجرد حل وسط . وليس تطبيقا محليا لنظرية مستوردة ولكنه نظرية أصيلة ، قد تلتقى وقد تختلف مع نظريات أخرى . ولكن هذا الالتقاء أو الاختلاف ليس مقصودا ، بل هو أمر عارض . يجب أن تكون هذه البداية خارج نطاق الجدل ، وألايسمح لاحد تحت أى ستار بالتعرض لها . وهذا هو المقصود بالفقرة **(د)** من المادة الاولى من **قانون الاتحاد الاشتراكى** العربى والتى تشترط فى العضو العامل «**أن يؤمن بالميثاق ، ويتعهد بالعمل فى منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى عاملا على تحقيق أهدافه** »

وهنا سوف يثار بحث مدى الزام الميثاق ؟ والميثاق ــ ككل نظرية عمل ثورى ــ يحتوى على نوعين من الاحكام :

أحكام كلية ، تتعلق بالمبادىء ، وهى ملزمة ، لايمكن الخروج عنها قبل ان يتم تعديلها من قبل الجهة التى تملك تعديلها. ومن هذا القبيل موقف الميثاق من الدين ، ومن فكرة القطاع الخاص ، ورفض مبدأ الصراع الدموى ، وسيطرة الطبقة الواحدة ، ومبدأ سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، وتحريم الاستغلال بجميع صوره ، والربط بين الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية السياسية والقومية العربية ، والايمان بأن الرخاء لايتجزأ .. الخ كل هذه أفكار جوهرية أساسية ، من يخرج عليها فانه يعتبر خارجا على الميثاق .

وثمة أحكام تفصيلية فى الميثاق لاتتعلق بالمبادىء ، ولكن بشروط التنفيذ . وهذه يجب أن تكون من المرونة بحيث تواجه جميع الاحتمالات ومختلف الظروف : ومن ذلك فمختلف النسب التى وردت فى الميثاق ، كما هو الشأن فى خصوص الصناعات المتوسطة والخفيفة ، والتجارة الخارجية ، ومدى الحقوق الاجتماعية التى يمكن للدولة أن توفرها للمواطنين .. الخ .

وفى ظل المعانى السابقة ، يجب أن تفسر عبارة «**أن الميثاق ليس قيدا على العمل الثورى**» فلا يتصور أن يكون معنى العبارة أمكان الخروج على المبادىء الاساسية فى الميثاق ، **هل معنى ذلك أبدية الميثاق ؟!** ذلك ما لايخطر على بال مفكر . أن من الاسس المسلم بها دستوريا أنه ليس لجيل معين أن يفرض نفسه على جيل آخر أو يقيد حرية تفكيره . ودليل ذلك أنه اذا خرج جيل معين على هذه القاعدة وأراد أن يضع أحكاما أبدية ، فان الاجيال الجديدة فى وسعها أن تهدد تلك الاحكام ، ولو عن طريق الثورة . بل أن هذا السبب من أهم أسباب قيام الثورات فى العالم . ولكن العمل الثورى المنظم ، يقتضى انه اذا أريد تعديل حكم أساسى فى الميثاق ، فان هذا الموضوع يطرح للدراسة المستفيضة على جميع مستويات التنظيمات الثورية ،حتى اذاأدركت الجموع الشعبية ضرورة التغيير ، فانها تدرك حكمته ، وتقره ، وتؤمن به ، وتوائم بين تصرفاتها وبين التعديل ، فيصبح التعديل سبيلا الى دفع العمل الثورى لاتعطيلا له .

ولقد تولت الطلائع الثورية مسئولية دفع العمل الثورى فى مرحلة التحول . اما الان ، وبعد أن استقام سبيل الثورة وأتضحت معالمه ، فان الامر يجب أن يوضع بالكامل بين أيدى المنظمات الشعبية بمختلف صورها ، والا يتم شىء الا بعد

دراستها واقرارها ، فذلك وحده هو الكفيل بخلق وحدة الفكر ، وتدعيمها واستمرار الدفع الثورى ، وعدم انفصال القيادات عن الجماهير . ثم أنه الطريق الديمقراطى الذى أقره الميثاق والذى يعتبر أصلا من أصوله الكلية .

هذا عن **تعديل** نظرية العمل الثورى . اما **تفسير** ما قد يحيط ببعض أحكام الميثاق من غموض ، فيجب الا يترك للاجتهاد الفردى ، بل يجب ان تكون ثمة جهة معلومة ، يلجأ اليها بطريقة سريعة وميسرة لاستجلاء ما غمض من أحكام النظرية ، وتقديم التفسير الملزم الذى يتعين على الجميع احترامه . ويجب ان تكون هذه الجهة صدى لتحالف قوى الشعب العاملة الممثلة فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وان يكون ما تصدره من تفسيرات صدى مباشرا لمختلف المصالح المشروعة التى يقوم عليها تحالف قوى الشعب العاملة ، ونتيجة مباشرة لتفكير الاجهزة الثورية على مختلف المستويات .

وعلى الاسس السابقة نكفل وحدة نظرية العمل الثورى ووضوحها .

الاعلام .. والتوعية

أما نقلها الى الجماهير ، فيتطلب جهودا أخرى : والذى حدث حتى الان ان **وسائل الاعلام** ، التى أتبعت فى نقل نظرية العمل الثورى للجماهير ، سواء تمثلت فى المحاضرات أو النشرات أو الصحافة أو الاذاعة أو التلفزيون .. الخ **لم يكن بينها رابط** ، بل تأثرت الى حد كبير بالموقف الشخصى لمن يشرف عليها ، ولهذا فان فاعلية وحدة الفكر ، تتطلب وجود نوع من الاشراف الموحد على جميع هذه الاجهزة . ولسنا ننادى بالحجر على الفكر فى جميع صوره ، فذلك أخطر ما يهدد العمل الثورى ، ومايتنافى مع الاسس العلمية للعمل الاشتراكى ، ولكن ما نقصده ان **تتبع سياسة مرسومة فى عملية التوعية** ، طبقا لخطة مدروسة متكاملة ، **تتعاون جميع الاجهزة فى وضعها موضع التنفيذ** ، حسب توقيت زمنى معلوم ، بحيث يمكن القول ، بعد فترة معينة ، أن النظرية الثورية قد أصبحت معلومة فى جميع تفاصيلها لجماهير الشعب بمختلف فئاتها .

ويجب من ناحية أخرى أن يتلون أسلوب التوعية بالبيئة التى يوجه اليها ، والا يعتمد الامر على الخطب ، والنشرات : بل يجب أن تثار حماسة الجماهير للحديث فى نظرية العمل الثورى وأن يكون المدخل الى ذلك من مشاكلها اليومية ، وربطها بمكانها فى الخطة .

ويتعين أن يراعى هذا الاعتبار فى **أعداد برامج الدراسة فى معهد الفكر الاشتراكى** فى القاهرة وفروعه فى الاقاليم فلا يكفى ان تقوم هذه المعاهد بمهمة توحيد الفكر بين الدعاة مع التسليم بأن أهم خطوة فى سبيل توحيد الفكر بين الجماهير تتمثل فى توحيد الفكر بين الدعاة أنفسهم ، بل يتعين أن يدرس للدعاة كيفية **اثارة الجماهير** ، وكيفية **توصيل المفاهيم** الى مختلف فئات الشعب بحسب ظروفها .

ولما كانت نظرية العمل الثورى تربط بين رسم الخطة وبين تنفيذها ، فان أخطر ما يهدد العمل الثورى أن يظل القادة الاداريون بمنأى عن نظرية العمل الثورى . ولهذا فيجب أن تصل المفاهيم الثورية الجديدة الى جميع القيادات الادارية بمختلف مستوياتها ، بأن توضع خطة مدروسة ، لكى يتلقوا جميعا دراسات فى الفكر الاشتراكى والاساليب الاشتراكية وأن يراعى فى المستقبل أن يكون من بين مؤهلات شغل بعض المناصب القيادية فى المجال الادارى دراسة مقررات معينة تكفل غرس الافكار الثورية فى أذهان هذه القيادات .

ولما كان هدف الثورة الاجتماعية اعادة صياغة الروابط الاجتماعية على اسس جديدة ، فان ايمان الشعب بنظرية العمل الثورى ، يتوقف على احساسه بجدية ما يسمعه ، وما يلقى عليه ، وان الفلسفة الجديدة **ليست خطبا منبرية تلقى على الناس فى مناسبة، ثم ينفضون الى واقع الحياة بلا تغيير** . ان المفاهيم الثورية الجديدة — كما يقول الميثاق : **«يجب أن تفرض نفسها على الحدود التى تؤثر فى تكوين المواطن وفى مقدمتها التعليم والقوانين واللوائح .»**

ومن هنا كانت أهمية المدرسة والمنزل فى عملية وحدة الفكر ، يجب أن تكون برامج التعليم بحيث تغرس فى نفوس المواطنين منذ نعومة أظفارهم القيم التى تتضمنها نظرية العمل الثورى : بطريق مباشر وغير مباشر ، بحيث يكون المثال الذى يضرب ، وبيت الشعر الذى يستشهد به ، وموضوع الانشاء الذى يكتب فيه الطالب ، والصورة التى يطلب اليه رسمها ، والبطل الذى يمجد .. الخ تجسيدا حيا لنظرية العمل الثورى .

ويجب أن تكون القيم فى المجتمع متمشية مع ذات الفكر : فلا تتخذ الثروة أو الجاه أو اللقب أساسا للتفاضل بين الناس .

ويجب أن تكون **التشريعات** صورة صادقة للفكر الثورى الجديد ، بحيث لايحدث انفصال بين واقع الحياة ، وبين المثل المراد تحقيقه . أن التشريع حقيقة فى يد مجلس الامة ، والمفروض فيه أنه مجلس ثورى ، ولكن **النظريات القانونية** التى تقف وراء التشريع والتى يفسر التشريع فى ضوئها ، والتى يستعين بها الفقيه والقاضى لسد ما فى التشريع من عجز أو غموض ، نقول أن هذه النظريات يجب أن تعاد صياغتها بحيث تكون مرآة للفكر الجديد . أن **الثورة الاسلامية** قد أدت الى خلق نظريات فقهية عميقة ، هى التى يدرسها الناس باسم «**أصول الفقه**» وهى صورة حية تنبض بالنظرية الثورية الاسلامية . ومعظم نظريات **القانون الفرنسى** هى صدى مباشر وتجسيد حى للمبادىء التى قامت **الثورة الفرنسية** من أجلها وأمامنا فى مصر ، ان فعل ذات الشىء . **فنعيد صياغة النظريات القانونية فى ضوء نظرية العمل الثورى العربية** . وتلك هى الدعوة التى أعلنها تقرير **الميثاق** حيث يقول : « لما كان الاساس فى دعم سلطان القانون هو أن يستمد التشريع حدوده وضوابطه من أوضاع المجتمع المتطورة ، فقد أصبح محتما الان أن تعاد صياغة النظرية العامة للقانون .. بما يسمح لها بأن تلاحق المفاهيم الثورية الجديدة . ولئن كان ضروريا لهذه المفاهيم المتطورة بطبيعتها ان تؤكد نفسها فى المجتمع الجديد ، فانه من الضرورى أيضا أن تأخذ طريقها الطبيعى الى الشعب من خلال القانون »

وأخيرا وليس آخرا ، أن وحدة الفكر ، تستلزم الا يقف الامر عند الكلمة النظرية ، بل يجب أن يتعدى ذلك الى أسلوب الحياة . **أن من يتصدى لنشر دعوة معينة ، لن** يؤمن به الناس الا اذا كانت حياته مصداقا لقوله . وبمعنى آخر ان الجماهير لا تؤمن بالنظريات المجردة ، ولكنها تؤمن بها من خلال من يتصدون لنشرها . وبهذا المعنى لايمكن فصل المسيحية عن عيسى ، ولا الاسلام عن محمد ، ولا الثورة عن اى زعيم ترتبط الثورة باسمه . ومن ثم فانه من المتعين الا يتصدى لعمل ثورى أو لفكر ثورى الا من كانت حياته وتصرفاته مطابقة لما ينادى به من أفكار ، والا انقلبت الاية . ويكفينا فى هذا المقام أن نقتطف الفقرة التالية من تقرير الميثاق ، فانها معبرة بذاتها عن المعنى الذى نشير اليه حيث تقول :

«أننا لنحرص على أن ننبه — فى هذا المجال — الى أن القدوة الحسنة لها أكبر الاثر فى تنمية الاسلوب الاشتراكى لدى أفراد الشعب . ان هذه الحقيقة البدهية تلقى على كل من يتصدى للقيادة — على جميع مستوياتها — مسئولية ضخمة ، ان يكون اشتراكيا فى تفكيره ، اشتراكيا فى سلوكه وان حرص القادة على المسلك الاشتراكى شرط اساسى لتثبيت ايمان الشعب بالاشتراكية العربية » .

د . سليمان الطماوى
رئيس قسم القانون بحقوق عين شمس

الصراع المستمر تدعيم لوحدة الحركة الثورية

مهمنا

أن ننوه قبل كل شيء بدقة السؤال وما اشتمل عليه من تحديدات حين أوضح أن المقصود هو وحدة الفكر لقوى الشعب العاملة وفي مرحلة معينة بالذات وهي مرحلة الانتقال الى الاشتراكية . والواقع انه لا غنى عن مثل هذه التحديدات عند الاجابة على سؤال يشغل بال كل الاشتراكيين في بلادنا .

١ ــ **اية وحدة فكرية ؟** نحن لا نسعى لتحقيق وحدة فكرية مع اعداء الثورة من استعماريين واقطاعيين ورأسماليين كبار، بل نرفض في تحقيق هذه الوحدة بين قوى الشعب العامل ، بين قوى الثورة الراغبة في السير بها قدما . ولهذا فان **الوحدة المنشودة تتحقق قبل كل شيء من خلال صراع فكري ضد كل الافكار التي يروج لها الاستعمار القديم والجديد والقوى الرجعية المختلفة** . ويمكن ان نتلمس الخط الفاصل بين فكر الشعب وفكر اعدائه بتحديد السمات المميزة لفكر الشعب .

ان الشعب يتطلع بالضرورة الى المستقبل . فالماضي على تفاوت ظروفه كان يمثل باستمرار اشكالا من الاستغلال يتحملها الشعب . والمستقبل هو الذي يحمل للشعب شمس الاشتراكية ونهاية الاستغلال . ولهذا ففكر الشعب **تقدمي** بطبيعته يعنى بمشكلات المستقبل والتخطيط واستكشاف معالمه وتبين الطريق اليه .

ولكن فكر الشعب لايبدأ من العدم ، بل أنه **يستمد جذوره من واقعنا** ، من تاريخنا وتقاليدنا . من نضالات شعبنا ودروس النصر والهزيمة ، من كل ما هو صالح من قيم صاغها شعبنا المصري وأمتنا العربية خلال قرون عديدة من الحضارة .. ان فكر الشعب ــ وهو فكر تقدمي ــ فكر قومي يتطلع للمستقبل ولكنه لايتنكر للاهرام ولايدير ظهره للازهر .

الوحدة الفكرية لقوى الشعب العاملة

ولقد عاش شعبنا على اتصال دقيق بما أحاط به من حضارات . لم يعش شعبنا معزولا اطلاقا ــ اللهم الا في أحلك أيام الحكم العثماني ــ وقد **أمدج تاريخنا بتاريخ الحضارة** البشرية كلها وكان دائما جزءا لا يتجزأ منها يؤثر فيها ويتأثر بها ولهذا فان فكرنا التقدمي والقومي فكر **عالمي** يتفتح لكل تراث البشرية يستفيد من منجزاتها ويعمل بدوره على اثرائها . وقد حرص **ميثاقنا** على أن يؤكد ويعمق هذه الحقيقة .

تلك هي السمات العامة التي تجمع كل الافكار التي تنبع من الشعب وتستهدف مصالحه والتي تلتقي وتتفاعل وتتصهر في بعضها البعض من خلال صراع لا يلين ضد كل فكر قائم على اهدار قوميتنا انبهارا بحضارة الغرب ، او متقوقعا في الماضي هروبا من المناقشة الحاضرة مع ما حققه غيرنا من الشعوب أو منغلقا في شوفنية ضيقة الافق .

٢ ــ **في أية ظروف تاريخية ؟ ونحن نسعى لتحقيق** الوحدة الفكرية لقوى الشعب العامل في مرحلة الانتقال للاشتراكية ونرجع أهمية هذا التحديد البالغة الى ما تمتاز به هذه المرحلة عن المجال الفكري من مميزات خاصة يمكن أن نجملها في سطور .

ففي مرحلة الانفصال مازالت الافكار والقيم الرجعية باقية في مجتمعنا . فالثورة كما قال الرئيس جمال عبد الناصر : **لم تقض على الاقطاع ولم تقض على الاقطاعيين** . فالطبقات التي اقصيت عن مراكز السلطة وقيادة الانتاج مازالت تعيش بيننا وتحاول الترويج لفكرها وان تكسب له الانصار . بل لقد نشأنا جميعا في ظل مجتمع مستعمر وكان أقصى ما يمكن أن تناله في مثل تلك الظروف هو التطلع **للمثل العليا للبورجوازية الليبرالية** . وأيا كانت درجة ثورة كل منا على ما خلقته هذه التنشئة الاولى في نفسه من فكر وقيم فلا يمكن ان نصفيها بين يوم وليلة .كذلك يحاول الاستعمار الجديد بكافة الوسائل التشكيك في الاشتراكية .

ومن ناحية أخرى يمكن أن نشير الى أن تبني غالبية شعبنا الساحقة للمثل الاعلى الاشتراكي لاتعني بالضرورة توفر الوعي الاشتراكي لدى الجميع ، بل الواقع ان الاتجاهات السائدة في مجتمعنا لها مصادر شتى . فمنا من سار مع الثورة في تطورها من نضال وطني خالص الى نضال وطني وأجتماعي في نفس الوقت . ومنا من أدرك بواقع تجربته عجز النظام الرأسمالي عن تحقيق التنمية الاقتصادية وتصفية التخلف الحضاري فتطلع الى الاشتراكية . ومنا من تفتح فؤاده للاشتراكية بوحي من مصالحه الطبقية وكتعبير عن ثورته على الاستغلال . ومنا من درس النظريات الاشتراكية وكان حظه من الممارسة الثورية قليلا او كثيرا .. الخ .

ومن ناحية ثالثة أدى انتصار الاشتراكية عالميا الى **ظاهرتين هامتين : الاولى كثرة أدعياء الاشتراكية** الذين يعملون على تشويه حقيقتها وتزويق الرأسمالية أملا في الخلط والتضليل . والظاهرة الثانية هي **تعدد التجارب الاشتراكية** في العالم وأختلاف وجهات نظر الاشتراكيين في عدد من القضايا .

ولكل هذا لابد من عمل فكري واع يفضح كل ما هو رجعي ومتخلف ويتبنى كل ما هو شعبي ومتقدم . لابد من صراع جاد ضد كل القيم القائمة على المثل العليا الفردية وتمجيد الثروة ، والملكية الخاصة وازدراء الجماهير ومعاداة العمال والفلاحين . لابد من صراع جاد لاعلاء قيم **الشعب والعمل والنضال والانتاج والمثل العليا الجماعية** .

٣ ــ **وحدة جوهرها حرية الفكر :** ولايمكن أن تكون هذه الوحدة ثمرة فرض فكر معين قسرا . فالقهر لا ينهض بديلا للاقتناع ، والافكار التي لا تصفى بدحضها فكريا تبقى وتتحوصل وتنفث خطرها في ظلام . ان الفكر الاشتراكي قادر على سحق الفكر الرجعي عن طريق مقارعة الحجة بالحجة وأقامة الدليل والبرهان بحيث تتم التصفية الفكرية في نفس الوقت الذي يصفى فيه الواقع السياسي والاقتصادي للرجعيين

الحوار العميق هو السبيل لتحقيق وحدة الفكر

أما الاشتراكيون فيما بينهم فهم يدركون ان **الحوار العميق** الذي دعا اليه جمال عبد الناصر هو السبيل الوحيد

لتحقيق وحدة الفكر . أن كل فكر يتبلور وتتحدد معالمه ثم يتطور بالمواجهة المستمرة لغيره من الافكار ، وكل من يزعم لنفسه الانفراد بمعرفة الحقيقة وينكر على غيره حق البحث عنها أنما يحكم على فكره بالجمود والعقم . ان المناقشة المستمرة هى الوسيلة للتطوير المستمر لفكرنا الثورى . ولكنه لابد من التحذير من الجدل البيزنطى والمناقشة المجردة . فجدل الاشتراكيين يدور فى اطار تبنيهم جميعا للاشتراكية **وبالتالى يجب أن يكون محوره قضايا بناء الاشتراكية كما يطرحها واقعنا الثورى** . فاذا كان الصراع الفكرى هو منهج تطور الفكر الثورى ، فان الربط **المستمر بين الفكر والواقع** هو ضمان أغتراب الفكر من الحقيقة وبالتالى قدرته على تغيير الواقع .

٤ ــ **وحدة هدفها الكشف عن الحقيقة** فموضوع النشاط الفكرى للانسان منذ أن وجد على سطح الارض هو محاولة فهم ظواهر الطبيعة والمجتمع بغية السيطرة عليها وتوجيهها والفكر الثورى ــ فى كافة مراحل تاريخ البشرية ــ هو الذى يستهدف عن قصد ذلك الفهم ويعمل بنجاح من أجل هذا الهدف . ولهذا فان الجدل بين الاشتراكيين يجب الا تحكمه اعتبارات ذاتية أو خلقية تجعل هدفه مجرد تغليب فكر مجموعة معينة وانما يجب أن يحكمه باستمرار **أعتبار موضوعى** هو الكشف عن الحقائق المعقدة لمجتمعنا فى فترة الانتقال وتبين القوانين التى تحكمه .وبالتالى معرفة اسهم الطرق لانجاز هذا الانتقال . **ان الجدل** بين الاشتراكيين سباق من أجل الحصول الى الحقيقة ، من أجل فهم الواقع وتغييره .

٥ ــ **وحدة سبيلها العلم** ومن يسير الى الحقيقة الموضوعية ليس له من سبيل الا العلم . والاشتراكية ليست مجموعة من الافكار الميتافيزيقية و المثل العليا الرومانسية أو المعتقدات الغيبية . والثورة ليست عملا عارضا لا تحكمه قوانين ولا خرقا أهوج لقوانين مستقرة ومستمرة . أنما **الاشتراكية علم والثورة علم** . والفرق بين الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية « الطوباوية » يكمن بالدقة فى أن الاخيرة ترسم صورة لعالم المستقبل لاترتكز الى الواقع ولاتبين السبيل الى الانتقال اليها . أما **الاشتراكية العلمية** فتقوم على دراسة الحاضر وفهم قوانينه واستقراء اتجاه تطوره ، **وعندئذ تبرز الاشتراكية كحل حتمى لتناقضات المجتمع** كما جاء فى الميثاق .وبذلك تتضح القوى الموضوعية التى تعمل على أحداث هذا التغيير من الراسمالية الى الاشتراكية ولا مجال للافاضة فى هذا الحديث . فقد اكتشفت البشرية منذ أجل غير قريب أن ظواهر المجتمع تخضع لقوانين موضوعية مثل تلك التى تحكم ظواهر الطبيعة ومن ثم ففهم هذه القوانين علم وتغييرها كذلك مسعى علمى له بدوره قوانينه ، لان الثورة ايضا ظاهرة أجتماعية .

ولكل هذا ، فان حوار الاشتراكيين له صفات المناقشة العلمية ويجب أن يكون له منهجا بعيدا عن الميتافيزيقيا والمذهبيات المجردة .

٦ ــ **وحدة متجددة ومتطورة** : ونحن نناضل من أجل تحقيق الوحدة الفكرية بين قوى الشعب العامل ، لان هذه الوحدة تضمن التجاوب بين القيادة والجماهير وتكفل حركة الجماهير وحدة الاتجاه ، كما أن تحقيقها هو فى ذاته كشف عن أسلم المسالك الثورية وتعبيدها ولكن هذا لا يعنى اننا سنصل يوما الى وحدة يجمد عندها الفكر ويتوقف . فقضايا الثورة والبناء الاشتراكى متجددة ومتعددة . وكل منها تطرح العديد من الاسئلة قد تختلف بشأنها الاجوبة . ولذلك فان الهدف هو أن ينتقل جيش الثورة من وحدة فكرية الى مزيد من الوحدة عبر الخلاف والاتفاق ، عبر الجدل والعمل . **ان الوحدة الفكرية لقوى الشعب العاملة بطبيعتها متجددة ومتطورة** تطور المجتمع نفسه .

وحدة الفكر ووحدة الحركة : على أن هذا الصراع المستمر والمتجدد بين الافكار لا ينبغى أن يفضى الى تفوق فى الصف الثورى أو تخلخل فى وحدة الحركة الثورية . بل على العكس انه يهدف الى تدعيم وحدة الحركة الثورية وتعميقها وتطويرها المستمر . وليس معنى اختلاف الرأى أن تتحول البلاد الى سلسلة لا تنتهى من منتديات المناقشة دون رابط يجمعها . وبقد أبرزنا العوامل الموضوعيه التى تجعل المواجهة المستمرة بين الاراء المختلفة مقضية بالضرورة الى وحدة الفكر وليس تعميق التناقضات . وثمة عاملان هامان يوفران وحدة الحركة الثورية خلال الصراع الفكرى ذاته وهما : **التنظيم والبرنامج** .

فالحوار بين الثوريين لا يدور فى خواء وانما هناك اطار تنظيمى محدد ينبغى أن يدور الحوار فى داخله الا وهو **الاتحاد الاشتراكى** . فالاتحاد الاشتراكى هو الاطار التنظيمى للحركة السياسية لقوى الشعب العامل . والجدل الفكرى يجب ان يدور بالمالى فى ساحته . وهذا الوضع يخلق التزاما مزدوجا . **فمن ناحية** يجب أن يفسح الاتحاد الاشتراكى صدره لاوسع المناقشات دون خشية وبثقة بالغة بجماهير شعبنا وبوعيها . اننا لا نخشى أن يعبر البعض داخل الاتحاد الاشتراكى عن آراء رجعية ، لانه بالتعبير عنها ينفتح الطريق الى دحضها وتصفيتها . ومما احرانا ان نتمثل فى هذا الشأن المغزى العميق لما قاله جمال عبدالناصر فى الاسماعيلية فى ٢٤ ديسمبر الماضى حين أشار الى تسرب عناصر معادية للثورة داخل الاتحاد الاشتراكى ثم أعلن أن الحكومة تترك للعمال والفلاحين والمثقفين مهمة كشفها وفضحها . ان جمال عبد الناصر يؤكد بهذا ثقة القائد الثورى بالجماهير الثورية . كذلك قال رئيس الاتحاد الاشتراكى فى خطابه التاريخى بمجلس الامة « **القوى الاشتراكية تفتح أوسع الافاق للفكر الاشتراكى** » **ومن ناحية أخرى** يجب على كل أصحاب فكر ان يعملوا على طرح فكرهم داخل الاتحاد الاشتراكى فى تنظيماته ومؤتمراته وصحافته وندواته . وهكذا يدور النقاش فى خضم العمل السياسى ومن خلال القضايا العملية للبناء الاشتراكى ويمكن للتنظيم السياسى ان يستخلص نتائج هذا النقاش **وان** يضمن ارتباطه المستمر بحركة الثورة .

واختلاف الاراء داخل الاتحاد الاشتراكى لا ينفى التزام الاتحاد واعضائه **بالميثاق** كبرنامج ودليل عمل . فلا يمكن لاى تنظيم سياسى جاد ان يجعل برنامجه محل أخذ ورد فى كل لحظة ولا أن يكون لكل عضو أن يلتزم أو لا يلتزم بهذا البرنامج وفق رأيه الخاص . وبالتالى فان اختلاف الاراء يمكن ان يدور حول العديد من القضايا التطبيقية فى اطار الالتزام بالميثاق . وعلينا ان نتفادى اتجاهين خاطئين فى نظرنا **الاول** هو محاولة جذب الميثاق الى الخلف وتجميده وتحويله الى « تميمة » يستعوذ بها ثم تهجر فى العمل ، او الى قيد على حركة الجماهير . ولقد أدرك القائد الثورى جمال عبد الناصر هذه الحقيقة واشار الى هذا الخطر بقوله : « **ان الميثاق يجب ان يكون اداة فى يد تحالف قوى الشعب العامل ولا ينبغى ان يتحول الى قيد عليها** » . والاتجاه **الثانى** الخاطىء فى نظرنا هو محاولة « تطوير الميثاق » من الباب الخلفى عن طريق تحميل نصوصه أكثر مما تحتمل . فالميثاق نفسه حدد وسيلة اجراء أى تطوير فيه وهى وسيلة ديمقراطية : مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى .وأى تطوير يجب أن يكون ثمرة التجربة وتقدم الثورة واحساس الجماهير بضرورته ومشاركتها فى اعداده . كما ان القيادة الثورية للاتحاد الاشتراكى وحدها السلطة الشرعية لتفسير الميثاق تفسيرا ملزما . ولهذا فان كل الاعمال السياسية الصادرة عن هذه القيادة فى شكل مواقف فكرية او بيانات سياسية أواجراءات تشريعية (كالاعلان الدستورى وخطب جمال عبد الناصر واجراءات التأميم وتصفية الحراسات ... الخ) جزء لا يتجزأ من الفكر الرسمى للاتحاد الاشتراكى .

د . اسماعيل صبرى عبد الله